والجمهور على أن الهمزة مقدمة من تأخير والواو أصلها التقديم وهو مذهب سيبويه وغيره والجملة الإستفهامية معطوفة على ما قبلها واختار هذا في البحر وإسناد الإصابة إلى المصيبة مجاز وإلى المخاطبين حقيقة ولم يؤت بالإسنادين من باب واحد زيادة في التقريع وتذكير اسم الإشارة في أنى هذا مراعاة لمعنى المصيبة المشار إليها وهو المشهور أو لما أن إشارتهم ليست إلا لما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير أن يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وإنما هي عند الحكاية وفي الآية على ما قيل جواب ضمني عن استبعادهم تلك الإصابة يعني أن أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فإذا أصبتم منهم مثل ما أصابوا منكم وزيادة فما وجه الإستبعاد لكن صرح بجواب آخر يبري العليل ويشفي الغليل وتطأطىء منه الرءوس فقال سبحانه قل يا محمد في جواب سؤالهم الفاسد هو أي هذا الذي أصابكم كائن من عند أنفسكم أي أنها السبب له حيث خالف الرماة أمر رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم بتركهم المركز وحرصوا على الغنيمة فعاقبهم ا تعالى بذلك قاله عكرمة أو حيث أنكم قد اخترتم قبل أن يقتل منكم سبعون في مقابلة الفداء الذي أخذتموه من أسارى بدر وعزى هذا إلى الحسن ويدل عليه ما أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه والنسائي وآخرون عن علي كرم ا تعالى وجهه قال جاء جبريل إلى النبي صلى ا تعالى عليه وسلم فقال يا محمد إن ا تعالى قد كره ما فعل قومك في أخذهم الأسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم وإما أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فدعا رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم الناس فذكر لهم ذلك فقالوا يا رسول ا عشائرنا وإخواننا نأخذ فداءهم نتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس ذلك ما نكره فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر أو حيث اخترتم الخروج من المدينة ولم تبقوا حتى تقاتلوا المشركين فيها قاله الربيع وغيره .

وأخرج ابن جرير عن قتادة أنه قال ذكر لنا أن نبي ا صلى ا تعالى عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون إنا في جنة حصينة يعني بذلك المدينة فدعوا القوم يدخلوا علينا نقاتلهم فقال له ناس من الأنصار إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة وقد كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية فبالإسلام أحق أن نمتنع فابرز بنا إلى القوم فانطلق فلبس لأمته فتلاوم القوم فقالوا عرض نبي ا صلى ا عليه وآله وسلم بأمر وعرضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل له أمرنا لأمرك تبع فأتى حمزة فقال له إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز وأنه سيكون فيكم مصيبة قالوا يا نبي ا خاصة أو عامة قال سترونها

واعترض هذا القول بأنه يأباه أن الوعد بالنصر كان بعد اختيار الخروج وأن عمل النبي صلى ا عليه وآله وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار الخروج والإصرار عليه كان ممن أكرمهم ا تعالى بالشهادة يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وأجيب بأن الإباء المذكور في حيز المنع كيف والنصر الموعود كان مشروطا بما يعلم ا تعالى عدم حصوله وبأن النبي صلى ا عليه وآله وسلم وإن كان قد عمل بموجبه لكن لم تكن نفسه الكريمة صلى ا عليه وآله وسلم منبسطة لذلك ولا قلبه الشريف مائلا إليه وكأن سهام الأقدار نفذت حين خالفوا رأيه السامي وعدلوا عن الورود من عذب بحر عقله الطامي كما يرشدك إلى ذلك قوله E بعد أن لبس لأمته وإنه سيكون فيكم مصيبة وقوله في جواب الإستفهام عنها خاصة أو عامة سترونها فإن ذلك كالصريح في عدم الرضا والفصيح في استيجاب ذلك الإختيار نزول القضاء وبأن الخطاب في قوله تعالى قل هو من عند أنفسكم ليس نصا في أن المتسببين هم المتفوهون بتلك